الرياض

ورقه ود

اللقاء الفريد.. والوطن المجيد

جهير عبدالله المساعد

كان واضحاً ما يريده سمو ولي العهد الأمير عبدالله بن عبدالعزيز من اللقاء الذي جمعه بمبادرة منه مع رجال التربية ونسائها.. كعادة سموه في حضوره العفوي الرقيق.. يتحدث من القلب.. وكلماته واضحة ليس فيها إبهام ولا غموض ولا تقعّر الفصاحة في الخطاب الأسري المحدد الاتجاه.. قال بوضوح للجمع المسرور.. (أردتُ اللقاء بهذه الوجوه الخيرة لأبلغكم ما دار بين حكومتكم والحكومة الأمريكية...)..

إذن، هو لقاء مكاشفة وارتقاء، مكاشفة ارتقت بالنخب التربوية وأسبغت عليها احتراماً وإجلالاً يزيدها مسؤولية واعتزازاً باعتبارها المناط بها تنوير وتوعية الأجيال وباعتبارها المؤثرة في بناء العقول والإفهام.. لذا أرادت القيادة إطلاع هذه النخبة على الموقف الوطني من الأحداث الجارية فالهدف إذن من اللقاء كان واضحاً، ومضمون اللقاء كان واضحاً، والجسر الممدود بين الأطراف كان واضحاً.. وكل شيء واضح... فهل كان نقاش الحضور بمستوى ذلك الوضوح الذي مارسته القيادة في لقائها التلاحمي الهادف؟!!

سؤال لا يتوانى عن طرحه كل وطني مخلص غيور..

***لقد عبرت القيادة السعودية عن موقفها من النخب التربوية المختارة، مثلما عبرت عن ثقافة السلطة في ممارستها للحكم دون تغييب لمكانة النخب.. ودون مصادرة لوجودها وأدوارها وأفكارها، ودون المساس بمسؤولياتها التوعوية والتعليمية والتربوية، نوع من الممارسة في الحكم السعودي الخاص، الذي لا يحب التبجح مثل بعض الممارسات السلطوية بما يسمى الديمقراطية حين يعلقها شعاراً وينكرها في التطبيق!!!

لكنني فوجئت بالطريقة التي يفكر فيها الحضور.. خصوصاً النساء الفضليات.. فقد كان ثمة بون شاسع بين أهداف اللقاء الواضح وبين النقاش المرئي والمسموع، لأن القيادة الواعية أعطت الفرصة كاملة للتربويين والتربويات أن يكونوا جميعاً معها في خندق واحد حرصاً على الوطن.. فكيف كان استغلالهم.. لهذه الفرصة الثمينة؟! يبدو لي كأنما هناك فجوة في تلقي الدور الأساس المنتظر أن تقوم به هذه النخبة في ذلك الحوار السامي..

جاءت أسئلة السيدات اللاتي يمثلن صدارة المجتمع التعليمي النسوي، ومن خلالها ألقين جميعهن هموم النساء على حجر القيادة الوسيع، وانفلتن يعربن عن متاعب المرأة في المحاكم، ومتاعبها في حقوق التقاعد، ومتاعبها في البطاقة الشخصية، ومتاعبها بلا مدينة جامعية، ومتاعبها عندما تتصدر اسماً وظيفياً بارزاً ولا تملك فيه أدنى صلاحية.

و... و... وحمدتُ الله حمداً كثيراً مباركاً إذ لم تصل مطالبهن إلى متاعبهن من أزواجهن، والسائقين، وإجازة الوضع، والرضاعة، وموائد الإفطار على مقاعد العمل. والشؤون الأخرى التي يسهر النساء جرّاها ويختصمن! على اعتبار أن مشكلات النساء لا حدود لها.. وحين تكر السبحة يصعب تجميعها من جديد!

ولا شك أن كل ما ورد على ألسنة الزميلات والأستاذات والأخوات الفاضلات صحيح.. وصحيح وصحيح جداً... هو صحيح نعم لكن ليس في نمحله.. ولا هو وقته!

لاشك أنه تعبير صادق عن هموم مهنية ذاتية وجدت فرصتها في الظهور فخرجت من عقالها في حضرة سمو ولي العهد الإنسان المسؤول الكبير الواسع الحلم، القوي العزيمة، القادر على تسديد القرار وقت الإقرار.. تعبير صادق نعم لكنه غير موفق! لأن أبسط بدهيات أدب الحوار في مناسبة كهذه المناسبة الجليلة.. من أبسط بدهيات الحوار أن يعرف المرء ماذا يُقال ومتى يُقال وكيف يُقال..

أخواتي الكريمات..

كان اللقاء التكريمي الذي رفع من قدركن وزاد قيمتكن.. وأعلى مكانتكن.. يتحدث عن "الوطن" ككل.. وهو يتعرض في هذه الأيام إلى موجة طاغية من الهجمات تشن حملاتها الادعائية والإعلامية ضده تباعاً.. كان المقام السامي يتحدث عن "الوطن" على لسان المعتدين.... بينما هومكن، همومنا النسائية - جزء - من الوطن.. مهما بلغت أهميتها هي ليست أهم مما نحن فيه لحظة الحوار وإلى الآن! ما نعاني منه كموظفات ونساء شأن من شؤون الوطن الداخلية.. وما كان الحوار يركز عليه شأن من الشؤون الخارجية.. التي تخص الوطن جملة وتفصيلاً تخص الوطن بكامله في عيون الآخرين وأمام الآخرين.. وكان المأمول أن يكون الوعي النسوي بمستوى التقدير القيادي.. وإذا حضر الوطن ككل فإنه يعلو ولا يُعلى عليه.. كلنا معاً نفكر في اتجاه واحد ماذا نصنع للدفاع عن هذا الوطن المفترى عليه؟!!! في تلك اللحظات الى الآن ليست الاحتياجات النسائية أهم، ولا الخطب الرجالية أجدى.. كلنا معاً على طريق واحد... الوطن فوق كل اعتبار.. وما يخصنا نتناقش حوله بعدين في فرصة أخرى! وربما خاف الأخوات ألا تتكرر الفرصة، وفي اعتقادي حتى لو..... لا يصح في تلك اللحظات إلا الوطن ككل.. ليس هناك هموم أولى منه! وفي اعتقادي أيضاً لو كن الفاضلات بمستوى الحوار ثم طلبن موعداً لاحقاً لشؤونهن.. الخاصة لكان هذا أفضل.... أجمل..... لكن يبقى في المقابل سؤال وهل كان النقاش الرجالي على قدر المسؤولية وبمستوى الفرصة؟!

***صحيح أن الرجال الأفاضل لا يعانون في المحاكم، ولا يعانون من حقوق التقاعد، ولا يعانون من البطاقة الشخصية، ولا من الوضع والرضاعة وإجازه الأمومة، ولا... ولا.. ومع ذلك كانت لغتهم الخطابية سائدة بلا حوار.. لقد قال سمو ولي العهد أكرمه الله أي سؤال أنا جاهز... لكن كلهم قالوا ما أعدوه مسبقا!!!!!

يتضح أن ممارسة الحوار فن لم نتعرف عليه بعد، وغياب القدرة عليه بين أجهزة التنوير والتعليم مؤسف الى حد البكاء على أهل الفقيد.. وليس الفقيد.. أهله الذين هم رجال التربية ونساؤها..... تعتقدون مسؤولية مَنء هذا التراجع في الأداء العلني؟!!!

***كلنا أمس واليوم وغداً... وطن...